أفريقيا

بين

السياسة والسياحة

غانا باعت محاصيلها الزراعية لخمس سنوات قادمة

أكرا ـ من أحمد طلعت :

هناك نظرية معروفة فى الهندسة ، تقول بأن الخط المستقيم هو أقرب المسافات بين نقطتين ·· لكن شركات الطيران لها رأى آخر ، فالطريق من الخرطوم الى اكرا ـ مثلا ـ يجب أن يمر بلندن ·· والرحلة من اديس ابابا ـ مثلا ـ تمر بروما قبل أن تصل الى دكار ·· وهكذا ··

واذا كان هذا المنطق يمكن أن يكون مقبولا من شركات اجنبية ـ مقرها فى اوربا بطبيعة الحال ـ فانه يدعو للدهشة من الشركات الافريقية التى تتبع نفس الطرق ·· !!

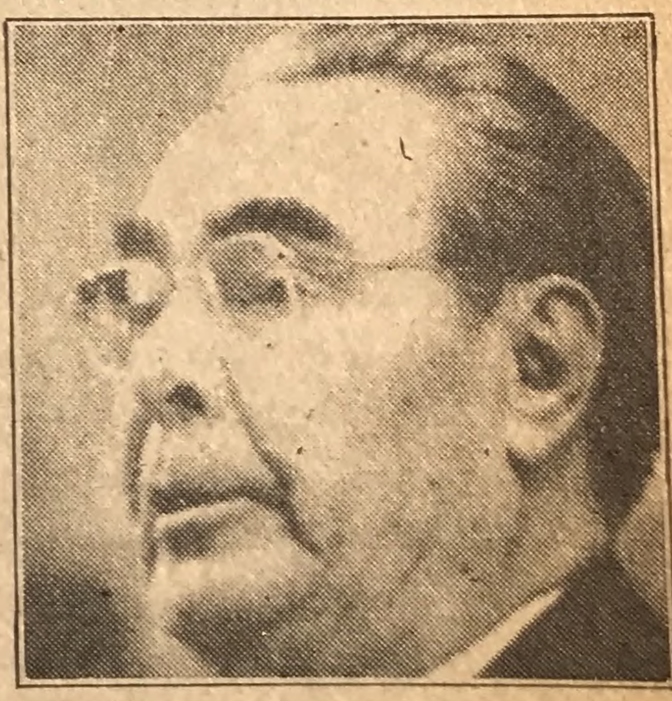

● ليونيد بريجينيف ●
تجارة السلاح

● فيديل كاسترو ●
يتجه بسرعة نحو غانا

وهكذا فان المسافر عبر افريقيا ، لابد ان يمر فى دوائر ومثلثات قبل ان يصل الى وجهته ، مع ان الخط المستقيم يمكن ان يوفر عليه جانبا كبيرا من المشقة ، وجانبا أكبر من الوقت الضائع·

لذلك فقد اتجهت بى الطائرة جنوبا الى أعماق القارة الافريقية ، قبل ان تطير غربا فى اتجاه الساحل الافريقى المطل على المحيط الاطلسى ، فتستغرق الرحلة أربعون ساعة ، كان يمكن ان تختصر الى أربعة ساعات ·

وكانت تجلس الى جوارى فى الطائرة سيدة فاضلة من احدى الدول العربية ، فى طريقها لتلحق بزوجها الذى يعمل فى سفارة بلاده فى أكرا عاصمة جمهورية غانا ·

وكان طبيعيا ان يتطرق بنا الحديث الى وجهة كل منا ، والى الهدف من رحلته ، ولم تكن فى رحلة السيدة الفاضلة أية غرابة ، فزوجة الدبلوماسى مكتوب عليها أن ترحل مع زوجها أينما حل ، وأن تتحمل من أجل ذلك مشقة الاغتراب والبعد عن الوطن ·

أما أنا ، فقد أثارت رحلتى دهشتها ، حتى انها وجهت الى سؤالا مباشرا وقالت : ماذا جاء بك الى هذه البلاد التى لا يستطيع فيها الانسان ان يحصل حتى على حاجياته الضرورية ؟!

ولم تكفها منى الاجابة بأن مهنة البحث عن المتاعب وراء هذه الرحلة ، وبأن حياة الصحفى يجب أن تكون مزيجا من المشقة ·· والغموض ·

وكان حديث زوجة الدبلوماسى العربى هو أول انطباع لى عن جمهورية غانا ، تلك البلاد التى تابعت عليها الانظمة العسكرية منذ رحيل نكروما عنها ، وجاء آخر هذه الانظمة الى الحكم فى شهر يوليو الماضى ·

وعندما وصلنا الى مطار أكرا ، لم يستغرق الامر منى وقتا طويلا لكى أعرف نوع المتاعب التى تعانى منها هذه الارض الافريقية ، فالسوق السوداء تطالعك منذ لحظة وصولك الى المطار ، وحراس المطار أنفسهم ينتظرون وصول أى طائرة ليلتفوا حولها باحثين فى المخلفات التى تتركها بجوارها عن شريحة من خبز ، أو بقية من قطعة لحم !

حتى الاكياس الورقية والعلب الفارغة تجد من يبحث عنها ويحرص على الحصول عليها !

● الجنرال اكوفو .. قبل ان يلقى خطابه فى الجامعة ●

أما الفنادق الكبيرة ـ وقد أصبحت مملوكة للحكومة ـ فليس فيها شىء واحد يعمل كما ينبغى ، المكيفات معطلة ، ومقابض الابواب مخلوعة ، وصنابير المياه تشكو من النزيف الذى يقطر منها بلا انقطاع ، ومصابيح الكهرباء قرضت على نفسها وفرا فى الاستهلاك ، بعضها يضيىء ومعظمها خرب لا يعمل ..

وليس هناك تفسير لهذا الانهيار الذى يمكن ان تلحظه فى كل مرافق المدينة ، وفى محلاتها الخاوية من كل بضاعة ـ أيا كان مصدرها ـ وهذا الفراغ الذى تعانى منه البائعات والباعة فى المحلات التجارية وهم جالسون فى أماكنهم بلا حراك بعد أن خلت هذه المحلات من أى زائر ـ سواء كان مشتريا أو متفرجا ـ فليس فى هذه المحلات ما يشترى ، وليس فيها بالتالى ما يمكن ان يتفرج عليه أحد .

وكل ما يفعله هؤلاء الباعة ، هو الجلوس فى اماكنهم ، وتمضية النهار حتى آخره ، ليستحق لهم ـ فى نهاية الشهر ـ راتب يتقاضونه من الحكومة التى تملك هذه المتاجر الان ، والتى اختارت ان تتركها خاوية وخالية من كل بيع أو شراء !

وتدهش عندما تعلم ان غانا هى احدى الدول الرئيسية المنتجة والمصدرة للكاكاو فى لندن ، كما انها دولة مصدرة ايضا للسكر ، الى جانب ثروتها المعدنية الهائلة وفى مقدمتها مناجم الذهب.

وكان طبيعيا ان يتساءل الناس عن مصير الاموال الهائلة التى تحققها هذه الصادرات ، وقد أجابت الحكومة الجديدة على هذا التساؤل بالاعلان عن ان « الحكومة السابقة » قد باعت محصول الكاكاو فى الخارج ، وحصلت على قيمته مقدما لمدة خمسة سنوات .

فاذا عاد الناس يتساءلون ، وأين ذهبت قيمة المحصول التى دفعت مقدما لخمسة سنوات قادمة ، جاءت الاجابة بأن هذا أمر تعرفه ـ فقط ـ الحكومة السابقة التى أطيح بها ، وليس لدى الحكومة القائمة الان اية معلومات عنه ، أو اية تفاصيل .

ولا يخفى البعض فى أكرا سخريتهم ، وهم يعرفون ان الذى تغير من الحكومة السابقة هو رئيسها فقط ، فقد اضطره مجلس الثورة الى الاستقالة ، ثم شكل نفس المجلس حكومة العهد الجديد !

لكن ما يلفت النظر حقيقة فى غانا هو هدوء الاعصاب الذى يميز شعبها ، فهم يواجهون هذه الاجابات بحالة من اللامبالاة ، لا تعرف ان كانت طاقة العاجز ، أم حكمة الفيلسوف .

المهم ان يمضى النهار ، وتغرب الشمس ، ويعود الجميع الى بيوتهم ليناموا ، انتظارا لنهار جديد لا اثارة فيه ولا انفعال ، ولا حتى تساؤلات أو اجابات .

والشخص الوحيد الذى لا ينقطع نشاطه فى أكرا ، هو الجنرال اكوفو ، رئيس الدولة ورئيس اللجنة العسكرية العليا التى تتولى الحكم .

فلا يمر يوم دون ان يلقى الجنرال لكوفو خطابا فى مناسبة من المناسبات سواء كانت هذه المناسبة تستحق أن يتحدث فيها رئيس الدولة ، أو أصغر مسئول فى الحكومة .

ولا يمر يوم دون ان تنشر الصحف عشرات التصريحات للجنرال الحاكم عن اطلاق حرية البحث العلمى للجامعة ، أو مشاريع الاسكان الجديدة التى ستوفر البيوت المناسبة للجميع ، أو النهوض بمستوى الخدمات فى المواصلات ، والماء والكهرباء وغيرها .

والصحف بطبيعة الحال مملوكة للدولة ، لذلك فهى تتسابق الى نشر هذه التصريحات ، سواء كانت تعلم ـ وهى تنشرها ـ انها قابلة للتنفيذ ، أو مجرد وسيلة لملء الفراغ !

وغانا التى كانت من مؤسسى حركة عدم الانحياز فى العالم ، فى عهد رئيسها الاسبق نكروما ، فى طريقها الان للانسلاخ عن هذه الحركة ، فان أمورا جديدة قد أصبحت تستهويها الان فى سياستها الخارجية ، منها مثلا العلاقات الخاصة مع الاتحاد السوفيتى والتقارب السريع مع كوبا التى يمتد تواجدها الى مساحات شاسعة على ارض القارة الافريقية .

ومشتريات غانا من الاسلحة ـ السوفيتية بطبيعة الحال ـ تمثل الجانب الاعظم من وارداتها ، والاعتمادات المخصصة للتسليح سرية لا تحتمل الاعلان أو المناقشة ، أما المعدات اللازمة للبناء والتعمير فيمكنها ان تنتظر ..

ويبقى سؤال واحد يتردد فى خيالك ـ ويلح عليك ـ وأنت تغادر جمهورية غانا :

ـ هل هذا هو الهدوء الذى يسبق العاصفة ، أم انه هدوء ما بعد العاصفة ؟!

والامر المؤكد ان غانا تستهويها «لعبة السياسة ، لكن السياسة « لعبة » باهظة التكاليف !

« احمد طلعت »